الحاجة إلى مركز للقيادة في أمريكا الشمالية

رالف دي ونتر

(أ) المقدمة

حيث إنه ليس من المعقول أن نقترح وجود معهد لاهوتى واحد فقد يركز على النصرانية فإنه ليس من المعقول أن نقترح الحاجة إلى مركز رئيسى نصرانى واحد فقط يركز على الإسلام.

إن ظاهرة الإسلام واسعة بالدرجة التى يستطيع المرء فيها أن يتصور الحاجة لاثنى عشر وربما مئات المراكز لتؤسس حول العالم بواسطة النصارى ولتكون مخصصة للتركيز على الإسلام، كل واحد منها يمثل مبادرة لمجموعة معينة من النصارى يمكن أن تحدد جغرافياً أو على أى أساس آخر، وبالتالى فإننى أعتقد أنه يجب أن يكون هناك مركز واحد أو أكثر من مثل هذه المراكز مبادرة من النصارى فى أمريكا الشمالية، ولتعمل ليس فقط على خلق فهم أفضل للإسلام والتعامل النصرانى مع الإسلام وإنما أيضًا لتوصيل ذلك الفهم إلى واحد أو أكثر من مجموعات المنصرين فى أمريكا الشمالية.

إن الهدف الرئيسى من هذا المقال -على أى حال- ليس هو فقط مجرد وجوب إيجاد أكثر من مركز واحد، لقد أكدت دراسة **رولاند ميلر** على هذا، أن اهتمامنا ينصب هنا على الفكرة الأخرى الأقل شيوعًا وهى أنه متى كان ممكنًا يجب أن يكون لمركز دراسة الإسلام فهمًا ذاتياً يسمح ويطلب من رجاله العمل فى محيط المراكز المماثلة الأخرى والمركزة على تقاليد دينية أخرى مختلفة، وهذه فرضية متواضعة وبسيطة، ولكن لها دلالات ضمنية مثيرة جداً، فقد لاحظت مثلاً أن معظم بحوث «التصور» العشرة المعدة لهذا المؤتمر الاستشارى قد طلبت من علماء تنصير ليس لديهم أية تجربة هامة وخاصة فى مجال الإسلام، (وأنا شخصياً أقع ضمن نفس هذه الفئة)، وهكذا شعر مخططو هذا المؤتمر - بوضوح - إن رؤية أشمل للموضوع هى مهمة جداً من أجل اختراق الإسلام.

ولكن المضى قدمًا لإعطاء سبب معقول للرأى الشخصى هذا هو أكثر صعوبة من عرض الاقتراح نفسه، وبالتالى فإن المتبقى من هذه الدراسة سوف يبدو وكأنه

يبتعد عن الموضوع، ولكنه سوف يكون - فى الحقيقة - محاولة لأن أشرح لماذا أعتقد أن الأمل الأكبر لحركة هامة إلى الأمام فى الأسلوب التنصيرى للتعامل مع الإسلام يكمن فى عقد مقارنات دقيقة ومنظمة مع أساليب تنصيرية متوازية للتعامل مع الإسلام مع التقاليد الرئيسية الأخرى غير النصرانية.

دعونى أولاً أن أطرح هذه الفرضية بعبارة أكثر عمومًا، ليس مهماً أنه لم يكن هناك أبدًا علم حقيقى يختص بالثقافات الإنسانية إلى أن تمت مقارنة الثقافات الإنسانية المختلفة جذرياً بطريقة منظمة بواسطة مجموعة نامية من العلماء ذوى الثقافات المتعددة، وتسمى «علماء علم الأجناس الثقافية»، وبتحديد أكثر فإن معظم فهمنا العلمى الحديث لظاهرة اللغة مستمد من الإرث التقليدى الحديث نسبياً والذى درس اللغات المختلفة جذرياً فى وقت واحد تقريبًا، واعتبر جميع الأساليب السابقة - التى كانت مقصورة على دراسة لغة واحدة أو عائلة لغوية واحدة فقط - بأنها «غير وافية»، وكمثال فإن أفضل فهم لنا للغة الأسكيمو أو لغة الباسك أو اللغة الإنجليزية لا يعتمد فقط على وجود متخصصين فى كل من هذه اللغات منفردة ولكن يعتمد على متخصصين على علم بجميع هذه اللغات الثلاث وأكثر.

ومهما كان رأى القراء فى هذا الشكل الأكثر عمومًا لهذه الفرضية فإننى متأكد من أن قليلاً منهم سوف يعترض على استعمال أسلوب الرسول بولس مع غير اليهود على أنها أول نقطة فى سلسلة مقارنات مع جهود المنصرين التى أعقبت جهد الرسول بولس، إن نقل الكتاب المقدس من ثقافة سامية إلى ثقافة إغريقية هو أحد أكثر الإنجازات الموثقة فى تاريخ الإرساليات التنصيرية وفرضيتى التى تقول إن طريقة تعاملنا مع الإسلام يجب أن تدرس ضمن محيط التعامل مع الثقافات المختلفة الأخرى تستند على الاعتقاد بأن كثيراً من الكينونات والأحداث والعمليات التى ترتبط بالوصف الإنجيلى لإنجاز الرسول بولس يمكن أن تصلح لتطبيق عالمى، على الأقل فى الوظيفة إن لم تكن فى الشكل، وإن التفسير الصحيح لهذا الإنجاز التنصيرى الذى وصف فى الإنجيل سوف يقدم لنا رؤية نافذة إلى جميع الجهود التنصيرية السابقة والعكس بالعكس.

وبعبــارة أخرى فإننى أعتــقد أنه يجب أن يكون واضحًــا أننا إذا كنا نشطين فى محاولة تنصــيرية ضمن ثقافــات مختلفة، وراغبــين فى مقارنة جهــودنا مع جهود الرسول بولس فإننا لن نحصل فقط على فهم أفضل لما نقوم به اليوم ولكن أيضًا لما كان يقوم به هــو حينذاك، إنها خطوة إضافــية واحدة فقط، للاعتــقاد بأننا إذا كنا سوف نقوم بتحليل مشابه للجهود التنصيــرية فى ثقافات مختلفة أخرى فإننا سوف نفهم عــملنا بطريقة أفــضل، إذا كان هذا الاستنتــاج صحيــحًا فإن دارس الجــهود التنصيــرية التى تركز على الإســلام عليه إذن أن يعطى اهتــمامًا دقــيقًا إلى جــهود الرسول بولس كــجهود مــشابهة، ولكن عليــه أيضًا أن يعمــل فى ارتباط وثيق مع الجهود المشابهة الأخــرى المحتملة مثل محاولة المنصرين اللاتينيــين إنشاء كنيسة فى ألمانيا، ومحاولة الأمريكيين لإنشاء كنيسة وسط اليهود، والمحاولات الغربية لإنشاء كنيسة وسط اليابانيــين إلخ. . . وهذا هو علم التنصير، وما من جهد منعــزل مهما كان ضخمًا يركز على مجــموعة واحدة يمكن أن يلاقى النجاح، وهذا هو السبب الملح للاعتــقاد بأننا نحتــاج إلى مركز واحــد على الأقل ليقوم بعــمله ضمن دائرة المراكز النصرانية الأخرى التى تركز فى نفس الوقت على التقاليد الدينية الأخرى.

وفى ضوء هذه الفرضية دعونا نعود إلى العهد الجديد، يبدو وكأن العهد الجديد مسرحية ذات أبعاد عالمية فى داخلها مجموعة من الممثلين الذين يمثلون مجموعات وقوى مــختلفــة، وسلسلة من الأحداث والمشــاكل، وإذا استطعنا أن نميــز كل هذا بطريقة صحيحة فإن مسرحية كل إنجاز تنصيرى آخر سوف تحمل نظائر هامة لعديد من كيانات العهد الجديد، إن لم يكن لمعظــمها، إن الطريقة الوحيدة التى يمكن أن تشعرنا بالثقة فى أننا نعمل فى مسرحــية مماثلة هى أن نقارن - بتعمد - ما نقوم به مع الأسلوب والنموذج الإنجــيلى الأصلى، وأن نسعى بحماســة للبحث عن نفس العنصر فى المشروعات التنصيرية الأخرى والمختلفة عن تلك التى نقوم بها وكذلك عن المشروعات المقدسة التى طرحها العهد الجديد.

(ب) نقاط رئيسية فى قالب عالمى

ما الــعناصر التى وردت فى العــهد الجــديد والتى تصلح لأن تكون عالميــة فى الوظيفة إن لم تكن فى الشكل؟

١- توجد أولاً الثقافة الناقلة:

والتى كانت فى الأساس سامية، وبالتحديد يهودية، وبهذه الصفة استطاعت هذه الثقافة أن تعزز على سبيل المثال تقليدًا بطريركيًا للزواج ولكنه محلى يتفشى فيه الطلاق (على الأقل أيام المسيح) ولكنه خال فعليًا من العزوبية والشذوذ الجنسى معًا واللذين كانا سمة قوية واضحة فى التقليد الثقافى الإغريقى أو التقسيم الثنائى الأرسطوطاليسى بين الجسد والروح... إلخ، وهناك ضرورة لكتاب كامل يشرح بالتفصيل الاختلافات الثقافية التى بنى عليها الرسول بولس جسره عبر الثقافات.

٢- اليهود ذوو الثقافة الدينية، ولكن الذين لا يؤمنون حقيقة باليهودية:

كثير من هؤلاء قاوموا تأثير يسوع المسيح لأنهم شعروا بأن عاداتهم الدينية جيدة بدرجة كافية.

٣- يهود مؤمنون حقيقة:

آمن البعض وبكل بساطة بالمسيح وتبعه ويؤكد كرافت فى مقدمة بحثه لهذا المؤتمر أنه وفى لحظة اتخاذهم القرار فإن ثقافاتهم وأساليب حياتهم وبنيتهم العائلية والاجتماعية وأساليب قيادتهم ومفاهيمهم عن الحياة والزمن والخطيئة والأخلاق، وحتى عن الكائنات الخارقة للطبيعة وأنواع طقوسهم وأساليب اتصالهم وأساليبهم التعليمية إلخ... كلها كانت مترابطة.

٤- يهود مؤمنون حقيقة ولكنهم لم يكونوا أتباعًا للمسيح:

يمكننا أن نفترض - بكل ثقة - بأن جميع اليهود المؤمنين حقيقة والذين عاشوا أيام المسيح كانوا سيكونون أتباعًا للمسيح لو سنحت لهم الفرصة، لماذا؟ لأننا نؤمن بأن المسيح قد جسد بصورة قاطعه الوحى الذى نعبر عنه «بالإيمان الحقيقى» والذى يقتضى التصديق بالمسيح، ومع ذلك فإن بعض اليهود المؤمنين هذا الإيمان الحقيقى مثل زكريا وإليزابث كان يمكن أن لا يعيشا فترة كافية ليتبعا المسيح، وقد نفترض أن آخرين عاشوا أثناء أو بعد رسالة المسيح ولكنهم لم يسمعوا عن المسيح أو يتعرفوا عليه، وعلى الرغم من أن الرسول بولس ربما قد دعا إلى المسيح فى كل كنيس يهودى فى تركيا «جميع آسيا قد سمعت بالكتاب المقدس» فماذا عن هؤلاء

اليهود المؤمنين إيمانًا حقيقياً والذين ربما ماتوا فى اليوم السابق لوصول بولس أو أولئك اليهود المؤمنين إيمانًا حقيقياً فى تارشيش والتى هى أبعد من المدى الذى وصلت إليه رحلات الرسول بولس التنصيرية؟ إننى أؤمن بأننا نستطيع - على الأقل- أن نفترض أن أى يهودى حقيقى الإيمان ما كان سيرفض المسيح.

٥- المتهودون:

وهم حماة التقليد اليهودى أى الثقافة الناقلة، وهم بالتأكيد ينتمون أحيانًا إلى الفئة (٢) أعلاه ولكن فى بعض الحالات إلى الفئة(٣).

٦- المتهودون المؤمنون:

إن اليهود المؤمنين هم أكثر أهمية بالنسبة لنا، لأنهم كانوا يمثلون عائقًا خطيراً أمام الرسول بولس وربما كانوا مسئولين عن استشهاده وكذلك محطمين لبعض عمله (أو لكثير من عمله)؟. وهنالك احتمال كبير بأنهم (وبسبب التزامهم الدينى الحقيقى) كانوا القوة الرئيسية الساعية لتحطيم المعابد اليهودية التى كان الرسول بولس يتمتع فيها بنفوذ مكثف، والقوة المعارضة لتبسيطه للكتاب المقدس، وهم - بلا شك - يعتبرونه مهرطقًا يحاول التوفيق بين الأديان المتعارضة.

٧- المتهودون حديثًا:

هؤلاء الناس فى السابق من غير اليهود، ولكن تم احتواؤهم أو «أقلمتهم» بواسطة طقوس موضوعة ليصبحوا على الأقل يهودًا من الدرجة الثانية، واعترف الرسول بولس فى أعمال الرسل بشرعية غير اليهود الذين تهودوا حديثًا على الرغم من أن القوى الكبرى المعارضة لدعوته أنكرت ضرورة هذا التحول الثقافى، وبدا ذلك للمتهودين حديثًا نفاقًا.

٨- الكتاب المقدس الذى يخاطب اليهود:

هنالك كتاب مقدس واحد أساسًا، ولكن هذا المصطلح لا يستعمل دائمًا بنفس هذا التحديد الصارم، وبالتالى فإن علماء ما بعد فترة الإنجيل كانوا ضمن حدود العهد الجديد عندما استخدموا تسمية الأناجيل الأربعة، إن إنجيل القديس متى

(الذى يفترض جمهوراً سامياً ويركز على إشارات العهد القديم، إلخ. . .) يختلف عن «إنجيل القديس مرقس» (الذى يتعمد أن يشرح التقاليد اليهودية لغير اليهود. . . إلخ)، ولأسباب عديدة أوصى صموئيل زويمر المنصرين باستعمال إنجيل القديس متى فى عملهم بين المسلمين.

٩- الكتاب المقدس الذى يخاطب غير اليهود:

إنه لمن الواضح أكثر عندما نرجع إلى خطابات الرسول بولس فإن برنامجه العملى فى استخدام الكتاب الملقدس يختلف أختلافًا كبيرًا عن برنامج المسيح: لم يكن متعارضًا معه ولكن كان فقط مختلفًا عنه «ولكنه كان مختلفًا فى بعض الأمور لدرجة أن لوثر عندما وصل إلى رسالة يعقوب وبعد ترجمته لرسائل الرسول بولس شعر -لفترة من الوقت- أن وثيقة يعقوب متضاربة ومتناقضة ووصفها بأنها رسالة من القش».

١٠- الجماعة اليهودية المحلية (الكنيس):

هذا اختراع ولدته الضرورة المتأصلة فى فترة الأسر فى بابل، ويبدو مثالياً للاستخدام فى جميع الأحوال «غير المستقرة»، سواء فى بابل أو بعد ذلك بين الأقليات اليهودية المشتتة فى أنحاء الإمبراطورية الرومانية، أو فى ظل حكومة دكتاتورية معاصرة حيث تكون للسياسة «العشائرية» بعض الأضرار، وفى العهد الجديد أصبح «الكنيس» هو الأساس للعبادة والزمالة والمجتمع، وفيما بدا هذا المجمع الكنيسى فى العادات المتشابهة جزءًا من الثقافة الناقلة فقد تم تبنيه - لفترة من الوقت - ليس فقط من قبل اليهود المؤمنين ولكن أيضًا- فى شكل معدل- بواسطة المتهودين من غير اليهود.

١١- الفريق التنصيرى:

إن الفريسيين قد «اجتازوا الأرض والبحر ليحولوا شخصًا واحدًا»، واستخدموا على الأرجح فرقًا كى تقوم بهذا العمل، وإن شعورى الشخصى هو أن غياب الشرح المترابط فى العهد الجديد سواء عن الجماعة اليهودية المحلية أو عن فريق التنصير فإن ذلك يشجعنا على الاعتقاد فى كلتا الحالتين بأن الرسول بولس قد

استخدم ببساطة هذه الأساليب المركبة المعروفة لمعالجة الأمور فالجماعة اليهودية هى التركيبة المحلية الأساسية فيما كان يدخل ضمن التركيبة الفريق العامل جزءاً اختيارياً.

١٢- المعبد:

كان هذا جزءاً من العالم المتدين الخاص بفلسطين أيام المسيح واستمر يستخدم بطرق معينة بواسطة اليهود المؤمنين الذين كانوا يسكنون على مقربة كافية منه ولكنه أصبح بالضرورة أقل أهمية بالنسبة لهم فى فترة التشتت.

١٣- الختان:

أصبحت هذه الشعيرة طريقة للتمييز من اليهود والإغريق أيام المسيح، وكانت واحدة من أهم «شعائر المرور» فى التقاليد الدينية اليهودية وعلامة بدنية طبيعية دائمة لتحديد عضو الجماعة اليهودية، وعلى الرغم من أنها لم تميز بالفعل اليهود عن عدة مجموعات سامية غير يهودية (انظر أرميا ٩: ٢٥، ٢٦) لها اعتباراً كبيراً فى عملية التهويد.

١٤- الشرع:

وهو الأساس المكتوب للأسلوب اليهودى للحياة، ويلاحظ أن جميع الموروثات الثقافية لديها نمط للحياة منظم جداً، مثلما أن جميع اللغات مركبة بصورة متساوية، ولكن ليس لكل الثقافات سجل مدون يحدد نظمها، وفى العهد الجديد نجد للثقافة الحاملة نظاماً مكتوباً فيما لا يوجد للثقافة المستهدفة «شيء مدون» له نفس المرتبة.

١٥- الشخصية الرسولية:

يصور العهد الجديد فرداً مفرطاً فى طاعته ومتقد العاطفة نذر جميع جهوده لحمل الكتاب المقدس للناس الذين ليس من ضمن تقاليدهم بعد وجود جماعة تتعبد بدين فطرى فى البداية، ثم تنصير الرسول بولس داخل تقليده اليهودى ولكن بعد مضى بضع سنوات، وبسبب صلته الطويلة بالتقليد الثقافى الإغريقى بدأ

الرسول بولس يعتقد بأن تجربته الإنجيلية المتطرفة لم تكن بحاجة إلى أن تنحصر فقط فى الأشكال اليهودية، ولكن كانت تعنى شيئًا مثيرًا خارج نطاق الأسوار المقدسة الخاصة بثقافته، واستراتيجيته فى التعامل مع اليهود باعتباره يهودياً ومع غير اليهود باعتباره غير يهودى، كانت تكملة عملية لتلك الثورة الداخلية العميقة، وكانت ستكون مستحيلة لولا هذه «الخبرة الإنجيلية».

١٦- الإنجيل المكتوب باللغة المحلية:

أنتج الرسول بولس أدبًا جديدًا فى الثقافة المستهدفة، ولكنه استند فى كل نقطة على إنجيل واضح وافترض وجوده (الترجمة السبعونية اليونانية للتوراة) فى أيدى الناس الذين آمنوا بالمسيح.

١٧- الأشخاص الأتقياء الذين يخشون الرب:

إننا نفهم هؤلاء الناس على أنهم فئة المتعاطفين الذين جذبتهم مواد الوحى المضمنة فى الثقافة الناقلة، ولكنهم سرعان ما أدركوا التباين الثقافى الذى صرفهم عن الطريق اليهودى للحياة، وفى كثير من الأحوال فإن الكنيس الذى أنشأه اليهود المشتتون فى العالم كان يشبه الساندويتش المكون من ثلاث طبقات، فهو يحتوى على اليهود الذين ولدوا يهودًا، واليهود المتجنسين، والمتعاطفين (الذين يخشون الرب)، إن وجود أناس لم يقطعوا صلتهم بإرثهم الثقافى وواعين لوجود معنى روحى متوفر فقط فى ثقافة أجنبية كان بداية رئيسية كبرى للرسول بولس، ومن خلال التعامل مع هذا المعتقد الأول لهؤلاء الناس بجدية يتم توليد استراتيجية تنصيرية حقيقية لثقافات مختلفة، وتوضح تجربة الرسول بولس فى (أعمال الرسل ١٣) إن انتهاج أسلوب يتسم بالروحانية والوعى قد ينجح فى اقتلاع مثل هؤلاء الناس من معتقداتهم الجزئية الواهية، وفى غياب مثل هذا الأسلوب فإنهم سيبقون بعيدين ما دام السبيل الشرعى الوحيد للانتماء هو التحول من دين إلى آخر، إن المجال لا يسمح بتقصى الأمثلة المطابقة للنقاط التى أثارها البحث عن إبلاغ الكتاب المقدس فى بيئات ثقافية مختلفة، دعونا نعالج مجموعتين من العناصر التى يمكن تطبيقها عالمياً وذلك على ضوء معطيات العهد الجديد.

(ج) العمل الجاد للقيام بدراستنا عن طريق المقارنة

لتحقيق أغراضنا العاجلة دعونا نفهم تقليدًا تنصيرياً يمكن إجادته ويتم توضيحه بما حدث حين أصر اليهود المؤمنون على تهويد غير اليهود حتى يتم تخليصهم، وسوف نسميها عملية الإجازة والتى تتم عندما يكون ما هو حيوى وسار فى الثقافة (أ) يتم قبوله بغباء فى الثقافة (ب)، إنه من السهل على أى شخص أن يكون ملتزمًا بالشرع والقانون داخل ثقافته الخاصة، عندما لا تتماثل أساليب سلوكه الخارجية مع معنى داخلى مناسب، مثل هذا التعارض القانونى غير متوقع النشوء عندما تكون الأساليب الخارجية للثقافة (أ) غير منسجمة فى معنى داخلى مناسب فى الثقافة (ب).

إن المنصرين الشرعيين فى العهد الجديد من المتهودين، وكانت الرسالة الشرقية تطبيقًا غبياً وجامدًا للقانون الموسوى على اليهود عامة وعلى غير اليهود بصفة خاصة، أما الوصايا العشر فلم تشكل أية عقبة إذ لم يكن لها أى مضمون ثقافى يذكر ولكن بعض جوانب الحضارة السامية مثل الختان اصطدمت مع التراث غير اليهودى.

لقد كان المتنصرون الشرعيون من المتهودين حديثًا، وكان الكنيس هو قوام مجتمع العبادة الشرعى وقد نقل برمته إلى الأوساط غير اليهودية، إن المرء الذى ينشأ فى العرف النصرانى فى الولايات المتحدة، والذى لا تتاح له فرصة الاطلاع على محتويات العهد الجديد إلا قليلاً سوف يفترض بكل بساطة أن الفريسيين والمتهودين لم يقوموا بأى عمل جيد، كما أن هنالك إشارات أخرى فى الإنجيل توضح بأن فرق المنصرين الفريسيين قد اجتازت الطرق الرئيسية للإمبراطورية الرومانية وربما أبعد من ذلك متجهة شرقًا لأكثر من مائة عام قبل ميلاد المسيح، إن تركيبة هذا التراث النصرانى الشرعى ليست أقل سوءاً من الحملات الصليبية التى قامت بعد ذلك بعدة قرون، ومن المؤكد أن وجود مناطق آهلة باليهود المشتتين فى العالم وتأثيرهم المحسوس على المجتمعات غير اليهودية المجاورة لهم كان له أثره المباشر فى نجاح دعوة الرسول بولس، ويقال إن **الرسول توماس** فيما بعد بدأ دعوته بين اليهود فى الهند من خلال الكنيس، إذ ليس من المستبعد وجود جماعات

يهـودية محليـة على هذه المسافـة شرقًـا، بل هناك دليل على وجوده فى الـقرون الوسطى حتى فى كوريا.

ويمكن القـول إن دعوة الرسول بولس لم تكـن مهتـمة بغرس الكـنائس بقدر اهتمامـها بزعزعة الكنيس وإحداث شـقاق فيه، وعندما أجـبر الرسول بولس على الانحيـاز لأحد الأطراف انحاز إلى التقـاة من غير اليـهود بدلاً من اقتصـار دعوته على اليهود الأصليين الذين يتميـزون عن غيرهم بالختان على عكس دعوة الرسول بولس الشرعـية، وعلى عكس ذلك فإن الرسـول بولس قد أعطانا نموذجًـا للعمل التنصيرى غير المجاز فهو لم يفرض على غير اليهـود التقاليد الثقافية اليهودية، كما أنه وباعتباره منصرًا تقليديًا لا يعتبر أن مجرد التطابق الثقافى مخلص لليهود ولغير اليهـود، وعلى الرغم من الهزة الثقـافية فـإنه حتى اليهـود المعاصرون (من أمـثال شوينفيلد) يشعرون عندمـا يقرأون عن مساعى وجهـود الرسول بولس بأن «أساس ديانة بولس» لم تكن التوفيق بين المعـتقدات الدينية بل إيجاد التقـليد الذى لا مفر منه والناتج عن صهر حياة جديدة فى الأدعية الطينية الثـقافية المقرفة للتقليد الثقافى فى غير اليهودى.

إن أقرب خطوة مماثلة للجسر الـتقليدى الذى بـناه الرسول بولس للعـبور من اليهود إلى غير اليهـود نشهده بوضوح فى تجارب مارتن لوثر الذى حاول أن يوفق بين ثقافتين مختلفتين، وكما هو الحال مع الرسول بولس فإن مارتن لوثر قد خاض تجربة تنصـيرية فى إطار أنماط الثـقافة الناقـلة (النصرانية اللاتينـية)، ومهـما ظلت النصرانيـة اللاتينية طبيعـية فى نظر جوهان سـتوبيتز المتخصص فـى دراسة تجربة الرسول بولس والذى سهل على لوثر اكتشـاف المسيح وسط الأشكال اللاتينية إلا أن لوثر (الذى كان ألمانيًا أكثر مما كان بولس إغـريقيًا) قد أدرك بالتدريج أن الشعب الألمانى لا يحتاج إلى إنجيل مكتوب باللغة المحلية فـحسب ولكنه يحتاج إلى عقيدة حقيقية لا يشترط تعريفها الالتزام بقوانين أو مبادئ أية ثقافة أخرى وبخاصة التراث اللاتينى، لقد كان لوثر من المتهودين حـديثًا، وبعد ذلك أنكر الحاجـة إلى العلاقة اللاتينيـة وأصبح داعيـة إلى التراث الألمانى النصـرانى، وقد دافع «المتـهودون» من أمثـال جون إيك دفـاعًا شديدًا عن عـالمية الأنماط اللاتينيـة بما فى ذلك الترجـمة

اللاتينية المعتمدة للكتاب المقدس من قبل الكنيسة الكاثوليكية بينما أصبح لوثر لكل من يفهمه فهمًا صحيحًا النموذج الأصلى للقائد الوطنى المتمسك بتقاليد نصرانية الأصل محلية الصيغة.

لم يقصد الرسول بولس ولا لوثر أن يفندا صحة الاعتقاد فى الثقافة الناقلة، ولكن القارئ العابر فى كلا العصرين يخلص إلى أن التوتر بين التراث الشرعى وبين معطيات العهد الجديد يعزى للتباين بين التراث اليهودى والإغريقى أو بين التراث اللاتينى والألمانى أكثر مما أن يعزى إلى التفسير الشرعى لأى من هذه الثقافات أو إلى التجربة النصرانية فى كل منهما، والحقيقة فإن هنالك مؤمنين جادين فى كلا الحالتين خلطوا بين معطيات الإنجيل وبين ثقافاتهم المحلية، ونتيجة لذلك فهم يميلون لعرقلة الجهود التنصيرية لإبلاغ الكتاب المقدس فى بيئاتهم الثقافية المتباينة.

وعلى الرغم من أن النصرانية فى الوقت الحاضر توطنت وتجانست مع عشرات الثقافات إلا أن صلة أربعة من أكبر القطاعات البشرية (الصينيون والهندوس والمسلمون والبوذيون) وكذلك صلة الألف الجماعات الصغيرة لا تزال على ذلك النوع من الصلة الشرعية بالنصرانية التى كانت سائدة فترة ما قبل الرسول بولس، فالنصرانية التى يعرفونها ويفهمونها تشكل خطرًا على تراثهم الثقافى.

فى مطلع القرن السابع عشر أثرت وطأة المنصر فاليكنانو فى اليابان وريسى فى الصين ونوبيلى فى الهند على مئات الألوف من الناس المتمسكين بتلك التقاليد دون أن تحدث هزات ثقافية حاسمة، فالمسائل الضرورية مثل الختان قد تم التغلب عليها بنجاح، ولكن الإرساليات المجيزة التى قدمت فيما بعد قضت على تلك الومضات وفرضت أنماط الثقافة الناقلة، والتجارب التنصيرية فى الغرب توضح على وجه العموم بأن مظاهر النصرانية المحلية البحتة التى هى نتاج لغتين قد أثارت العداء والتشكك.

لقد كان الإسلام بالنسبة للعديد من المجتمعات غير الإغريقية فى الشرق الأوسط فى القرن السابع انعتاقًا من العبودية المقنعة ومن سيطرة الثقافات الإغريقية

والرومانية ولقد ملأ الإسلام الفراغ الناتج عن غياب صيغة عربية للعقيدة النصرانية المتأثرة بالتراث الإغريقى، وعلى كل حال فإن مسألة الختان التى كانت تشكل عقبة فى دعوة الرسول بولس بين اليهود كانت غائبة تمامًا فى الأوساط العربية لأن العرب يختتنون أبناءهم، واحسرتاه! فمن الملاحظ فى أمريكا اليوم أن الكثير من أبناء غير اليهود يختتنون ولكن فى غياب أية أهمية للطقوس فيما نلاحظ أن تعميد الأطفال الذى حل محل الختان يعتبر إهانة تثير حفيظة المسلمين.

دعونا نتخيل منضدة تمثل صفوف سطحها التصانيف التى يمكن تطبيقها عالمياً وتمثل قوائمها بعض «الجسور التنصيرية» الهامة: يهودية/ إغريقية، لاتينية/ ألمانية، غربية/ هندوسية، غربية/ صينية، غربية/ يهودية، وغربية/ إسلامية.

وهنا نجد أن الختان والغذاء والأيام المقدسة هى العقبات الرئيسية بالنسبة للفئة اليهودية والإغريقية، أما بالنسبة للألمانية/ اللاتينية فهناك الملذات والعزوبية وسلطة البابا، أما الغربية الهندوسية فتتمثل فى أكل اللحوم «ومناحى الجمال فى النساء» ومفاهيم الزواج القائمة على مظاهر التفرقة العنصرية والاجتماعية، وتتمثل الغربية/ اليهودية فى أنواع الأطعمة المباحة «شرعًا» والتعميد وأيام العبادة، وبالمثل نجد أن القضايا الغربية/ الإسلامية/ تحوم حول الغذاء وشرب الخمر والتعميد والأيام المقدسة وصيام رمضان والصلاة الجامعة.

والآن، دعونا نبحث عن أدلة لتقليد شرعى، فبالنسبة للعلاقة اليهودية/ الإغريقية نجد أن المتهودين يدعون الإغريق للدخول فى الكنيس اليهودى تاركين المتعاطفين (أى التقاة الذين يخشون الرب) خارج هذا التجمع، أما بالنسبة للعلاقة اللاتينية/ الألمانية، فإننا نجد ذلك الوضع الذى تحول فيه مارتن لوثر الشاب الألمانى إلى نصرانى لاتينى فى دولة الكنيسة الكاثوليكية الرومانية وكان متمتعًا بحماية كل من جون ساتزال وجون إكس، وإذا تساءلنا عن الأدلة على شرعية التقاليد فى الهند اليوم فإننا نجد أن معظم الكنائس تتكون من طوائف صغيرة من المنبوذين تسعى جاهدة لعدم الاعتراف بنظام الطوائف الاجتماعية، هذا المجهود الجرىء الغربى يعيق العمل التنصيرى وسط ملايين الناس المتعاطفين من الطبقات الوسطى، وبالمثل أيضًا فإن الجسر الغربى/ الصينى يتم عن تقليد تنصيرى يدعو إلى الشرعية،

فالكنائس الصينية البالغ عددها ٤٠٠٠ كنيسة فى العالم فى الوقت الحاضر قد تحررت من الطقوس الموروثة، إن الحرس الأحمر الذين دعوا إلى التفريق وحاربوا التقاليد الصينية قد باؤوا بالفشل ولكن فشلهم يمكن أن يكون عظة وعبرة للعاملين على تطبيع التقاليد الصينية - النصرانية وفقًا للنظام الغربى.

أما المساعى اليهودية الغربية، فقد ركزت على الحصول على معتنقين جدد وبهذا تمكنت من إقناع اليهود بالتخلى عن طرق حياتهم اليهودية والسماح لهم بارتياد التجمعات الغربية وإبرازهم غنائمًا دالة على المجهودات التنصيرية التى اجتازت الفيافى والبحار لكى تنصر يهودياً واحداً، هل نجد لهذا مثيلاً فى الأساليب الغربية الهادفة لتنصير المسلمين؟ دعونا نتساءل: هل أن المنصرين الجدد الذين يقتلعون من أسرهم ويحرمون بصورة عشوائية من تراثهم الثقافى ويحتفى بهم غنائمًا خاصة؟ من الممكن أن نكتشف عبر هذه الأنماط أدلة للأسلوب التنصيرى غير الشرعى، من هم المنصرون غير الشرعيين فى مجال المحيط اليهودى الإغريقى نجد الرسول بولس وبالنسبة للنمط اللاتينى/ الألمانى نجد **ستوبيتز**، وبالنسبة للنمط الغربى/ اليهودى نجد أناسًا مثل **فيل قوبيل**، وهو شخص غير يهودى يسعى لإنشاء جماعات يهودية محلية عيسوية، هل هناك أدلة على وجود قادة قوميين غير شرعيين؟ بالنسبة للمحيط اليهودى/ الإغريقى نجد **بريسيلا وأكويلا**، وبالنسبة للمحيط الألمانى نجد مارتن **لوثر**، وبالنسبة للمحيط الغربى/ الهندوسى نجد **سوباملا**، وبالنسبة للمحيط الغربى/ الصينى نجد **ووتشمان نى**، ألا يوجد لدينا **مويس روسيث** بالنسبة للمحيط الغربى/ اليهودى؟ فهل يوجد مثل هذا الشخص فى المحيط الغربى/ الإسلامى؟

إن المجال لا يسمح بمتابعة هذه المقارنات بصورة مستفيضة كما أن البحث يهدف إلى تشويق القارئ للحاجة لمتابعة هذه المقارنات بنفسه حتى يتمكن من تحديد قيمة دراساتنا للمنهجية النصرانية تجاه الإسلام عندما نتبين الدراسات المقارنة لجسور تنصيرية مغايرة، وحيثما تنقلت فى أجزاء العالم لاحظت أن المنصرين يدعون بأن أوضاعهم فريدة وإن الوقت لا يسعهم للقيام بمقارنات جادة بين وسائلهم فى

الدعـوة إلى النصرانيـة وبين الوسائل الـتنصيـرية الأخرى، فـهم يقولون «اليـابان مختلفـة» ويصرون على أن «اليهود يشـكلون عقـبة فـريدة» ويستـطردون قائـليـن «ما الذى يمكن عمله مع الناقاجوس الذين يشكلون حـالة خاصة»؟ أليس صحيحًا أيضًا أنه ليست هنالك حضارة إنسانية فريدة بدرجـة لا تسمح بتحليلها بصفة عامة عن طريق المقارنة!

ملاحظـة المحرر: لم يطلب من المشـاركين التـعقيب على هذا الـبحث لأنه وزع متأخرًا.

●●●